• دریافت ۹۰/۶/۲۸
• تأیید ۹۱/۱۲/۲

دراسة نقدية لقصيدة «مشعل الثورتين» للشاعر جوزف الهاشم (شكلاً و مضموناً)

الدكتور تورج زيني وند*

الملخّص

جوزف الهاشم، الشاعر المسيحي المعاصر بلبنان، يحمل في صميم شعره الحسيني روحاً مسيحيّة تلتقي بالقيم الحسينيّة و متطلّبات المسلمين في عصرنا الرّاهن؛ لقد امتزج شعره الحسيني بروح المقاومة و الانتفاضة و البطولة و قد تبيّن لنا أنّ الفكرة المسيطرة في حسينياته هي أن تستنهض همم الشعوب الإسلامية ضدّ الظلم و الاعتداء و إرادة المحتلّين الإسرائيليين.

و الخلاصة هي أنّ هذه المقالة تسلّط الأضواء على دراسة هاتين المسألتين؛

أوّلها: مقدّمة في كليّات البحث ثمّ التعريف بالشاعر، جوزف الهاشم، و إشارة عابرة إلى بعض معاصريه في الأدب الملتزم بحبّ أهل البيت(ع).

و ثانيهما: عرض الموضوع و تحليل شعره من حيث المضمون و الأسلوب. و الملاحظة الهامّة الّتي عثر عليها الباحث هي أنّ شعر جوزف الهاشم(قصيدته «مشعل الثورتين؛ بين زينب و الحسين(ع)) يمتاز في هذا المضمار بالتقليد و التجديد. و زد على ذلك أنّ شعره في أدب الطفّ يتّسم باسخدام صورالخيال و المضامين القرآنية والروايات الدينية كما يمتاز بالجزالة و الفخامة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الكلمات الرئيسة:
الإمام الحسين (ع)،أدب الطّف ،جوزف الهاشم، الشّعر المسيحي، أدب المقاومة، مشعل الثورتين.

* الأستاذ المساعد في اللغة العربية و آدابها بجامعة رازي بكرمانشاه
T_zinivand56@yahoo.com

١.المقدمة

من الحوادث الّتى شهدها التاريخ الإسلامى معركة الطّف الّتى استشـهد فيهـا الإمام الحسين (ع) بشكل فجيع يروّع القلب و يهزّ العرش. و قد أنتجـت هـذه الحادثة المأساوية أدباً ضخماً يعبّر عن هذا المشهد تعبيراً عاطفيّاً حزيناً رساليّاً. و المجموعة الأدبية الّتى تهتمّ بهذه الفاجعة الكبرى، تسمّى فى عرف الأدبـاء و باحثى الأدب «بأدب الطّف». و أضخم مجموعة أدبية دوّنت فى هذا المجـال و تحمل هذا العنوان هى الموسوعة الشعرية الكبرى الّتى قام بإعدادها و جمعها و التّعليق عليها المرحوم الشهيد «السيد جواد شبّر» .

فعندما نبحث عن حادثة كربلاء المولمة نجد أنّها كالدّم السّارى فـى أرجـاء كيان الأمّة الإسلامية، من الدين و السياسـة و الثقافـة و الاجتمـاع و الأدب و .....، منذ وقوعها إلى يومنا هذا. بيد أنّها لم تحظّ بعنايـة كافيـة مـن النقـاد و الأدباء و ها هو العلاّمه «محمّد جواد مغنية» يؤيّد رأينا قائلاً؛

و الشّعراء ينظمون فى واقعة الطّف القصائد فى اللّغتين الفصحى و القوميـة، و لو جمعت لبلغت عدّة مجلدات، و هى تمثّل جانباً هامّاً مـن الثقافـة العربيـة، و لكن لم نر من أولاها عناية الدّرس و البحث. لقد اهتم القدامى و المحدثون من أساتذة الأدب «بالمعلّقات» و درسوها درساً وافياً، فكان الأولى بهم أن يدرسوا هذه القصائد و يفردوا لها باباً خاصّاً فى الأدب بإسم؛ «الحسينيّات» فيبحثوهـا من جميع جهاتها، و يبيّنوا ما فيها من الاتّجاهات الفنّية و السّياسية و الدّينيّة، و لو فعلوا لأسدوا للأدب خدمة كبرى.

أهمل أساتذه الأدب «الحسينيّات» إمّا جهلاً بها، و إمّا استخفافاً بشـأنها، و لو أولوها يسيراً من العناية، لوجدوا فى الشعر العربىّ شيئاً غيرالمدح و الهجاء و الغزل و الرّثاء، لوجدوا ثورة دامية تتستّر باسم النّـوح و البكـاء، لوجـدوا نقمـة على الأوضاع و الحكم و الحكام باسم تعزية الحسين بـن علـىّ (ع)، و لكنّهـا بالحقيقة تعزية للرسول بذهاب الإسلام و جهوده فى سـبيل الـدّين، لأنّ القـوّة بعده، أصبحت بيد العابثين بتعاليمه و شريعته (مغنيه، ١۴٠۴، ۵٨-۵٩).

فهذا الأدب الملتزم بحبّ الإمام الحسين (ع) ليس مختصاً بالمسلمين من الشيعة و السّنة فقط، بل قد يكون خالقه غيرمسلم أيضاً؛ لأنّ حبّ الإمام الحسين (ع) هو حبّ الايمان و الكمال و الحرّية و الشّجاعة و العدالة و الشّهادة و القيم الإنسانية السّامية، و المسلمون و غير المسلمين مشتركون فی هذا الحبّ المعنوی. فهناک شعراء استمدّوا أشعارهم من الملحمة الحسينية و هم علی ملّة المسيح (ع). و من هؤلاء؛ جورج شكور (ملحمة الإمام الحسين (ع) و جورج زكی الحاج (قصيدة الحسين) وريمون القسيس (سيّد الشّهداء)و بولس سلامه و..... و من كلّ ذلک يتبيّن لنا أن سبب التزام هؤلاء بمدرسة الإمام الحسين (ع) يعود إلی عوامل متعدّدة.منها:

أ) أنّهم حرّروا أنفسهم من كلّ عصبية قومية أو طائفية و راحوا يتجهون نحو الحقيقة و الهداية و الجهاد و المقاومة.

ب) أنّهم مصاديق لهذه الآية الشريفة فی عصرنا الرّاهن: (...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة ٨٢/٥)

٢.جوزف الهاشم ؛حياته و أدبه

و من أبرز معالم هذا النوع من الأدب الملتزم، هو جوزف الهاشم (الوزير السابق) الشاعر المسيحی المعاصر، بلبنان. ولد سنة ١٩٣٥ م، فی قرية «برجين» (منطقة الشوف) بلبنان فی أسرة يقال إنّها تنتمی إلی دوحة الإسلام و الشّيعة من حيث العقيدة و الثقافة؛فالشاعر المسيحی يفتخر و يباهی بكونه من سلالة الهاشميين و غصناً من شجرة آل طه(ع). و كأنه يبدو من هذا البيت أنّه شاعر مستميت مخلص كالكميت و الدّعبل؛

الْهَاشِمِيُّ أَنَا، مِنْ طِيبِ دَوحَتِهِمْ دَمُ السُّلاَلَةِ يَجْرِی فِی عُرُوقِ دَمِی

(الهاشم، ١٤٢٠: ٥٧)

بعد أن أتمّ دراساته الإبتدائيّة، انضمّ إلی مدرسة «الحكمة» و تابع فيها

دراساته الثّانوية، ثمّ اختار فرع اللّغة العربيّة و آدابها بجامعة «القديس يوسف» و لمّا تخرّج منها أخذ يدرّس فی المدارس و المراكز العلميّة و يعمل فی الجرائد و الصّحف و انضمّ إلى حزب «الكتائب» فساهم فی تأسيس «صوت لبنان» من إذاعة لبنان و عكف على النّشاطات السياسية و الثقافية و شغل ببعض المناصب الحكومية، مثل: وزارة الاقتصاد، وزارة البرق و البريد، وزارة الشؤون الاجتماعية و العلاقات و العديد من المناصب السّياسيّة. و الجدير بالذكر أنّه سافر إلى سوريا و ايران و شارک فی العديد من المؤتمرات الثقافية و الأدبيّة منشداً قصائد رائعة فی مديح آل البيت (ع) و ملاحم لجنود المقاومة بجنوب لبنان و فلسطين. يبدو أنّ سبب نزعة الشاعر إلى أهل البيت(ع) تعود إلى عاملين أساسين,أوّلهما: جوزف الهاشم، عاش طفولته فی أحضان أسرة تتغنّی بانتمائها إلى أهل البيت (ع) و تردّد قصصهم و فضائلهم بالفخر و الاعتزاز؛

منذ أن كنت فتيّاً ، كان محيطه العائلی يتغنّى بانتسابه إلى أهل البيت، وجُلّ ما كان يستهويه فی مجالس المفاخرة بالأصول، أن يستذكر الإمام على بن أبی طالب، على أنّه فارس الجهاد الأوّل و بطل امتشاق ذی الفقار. (الهاشم ١۴٢٠: ١٠).

و ثانيهما أنّ الظروف السّياسيّة و الاجتماعيّة و الدّينيّة الّتی كانت سائدة فی لبنان و فلسطين تستدعی المثل الدينيّة و الجهاديّة و أهل البيت (ع) هم أحسن البشريّة فی هذ المجال.

أشهر آثاره: ١. الفارابی؛ دراسة و نصوص (١٩۶٨م)/ ٢. العلويات؛ مجموعة شعرية تضمّ مديح الإمام المرتضى و سيّد الشّهداء و عقيلة بنی هاشم (عليهم السّلام) و كذلک فی بطولة المقاومة (١٩٩٩ م).عناوين القصائد؛ الإنسان الكوفی أو إمام لكلّ زمان: ١٩٩٨م و القرآن البشری (ذكری ولادة الإمام على بن أبی طالب دمشق، مكتبة الأسد الوطنية) ١٩٩۶م. وضوء من الضّوء (ذكر ولادة الإمام علیّ (ع): مؤتمر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، مكتبه الأسد: ٢٢ كانون الأوّل: ١٩٩٣ م و ذكر أهل البيت (مشعل الثورتين، بين زينب و الحسين؛ مقام السيّدة زينب (ع)، دمشق،

٢٨ كانون الأوّل: ١٩٩٦ م و عرس قانا؛ المهرجان الوطنی العربی فی اليوم العالمی للتضامن مع الجنوب؛ المعهد الفّنی الإسلامی، بيروت، ١٤ آذر / ١٩٩٧ م/ ٣. صوت لبنان فی حرب السنين: تحليل و تعليق (١٩٩٧م)/ ۴. ابوالطّيّب المتنبّی؛ شاعر العنفوان و الطموح (١٩٨٢م).

و الّذی تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ الباحث لم يقف على كتاب أو مقالة تتعرّض لشعر جوزف الهاشم بهذا الشكل الّذی درسته فی المقال الّذی بين أيديكم. إلاّ أنّ هناک صاحب مقالة «الإمام علیّ (ع) فی الفكر المسيحی المعاصر» قد أشار بصورة عابرة إلى بعض أبياته فی مديح الإمام المرتضی (ع) مع التّحليل و التّفسير (أنظر: هيفاء، ١۴٢۶: ١٧۴-١٧۵). و أحسب أنّی قد أدّيت الرسالة فی شأن هذا الشاعر الملتزم بكتابة هذه المقالة و مقالتين اثنتين ستطبعان بالمجلات العلمية – المحكمّة فی ايران: عنوان هاتين المقالتين؛ ١. ملامح أدب المقاومة فی شعر جوزف الهاشم.٢. الإمام علیّ (ع) فی الشعر المسيحی المعاصر (دراسة نموذجية: جوزف الهاشم)

فهذه المقالة التی بين يديک الآن تعدّ المقال الثالث الذی استعرضت فيه شعر جوزف الهاشم تأكيداً على قصيدته «مشعل الثورتين؛ بين زينب و الحسين(ع)».

و أمّا السؤال الأساسی الّذی يرمی الباحث إلى دراسته، و تحليله فهو: ما هی خصائص أدب الطّف فی هذه القصيدة(مشعل الثورتين) لجوزف الهاشم من حيث المضمون و الأسلوب؟ و الفرض الأساسی لهذه المسألة هو أنّ جوزف الهاشم، فی هذا المضمار، مال إلى الأدب الشيعی القديم فی تقليد المضمون و الأسلوب و متانة التعبير و الاحتفاظ بالوزن و القافية فی القصيدة الواحدة، كما جنح مثل بعض معاصريه إلى التجديد و التحديث حيث راح يعالج المشاكل الأساسية التی يعانی منها العرب و المسلمون أو حيث يمزج بين الأدب الشيعی المناضل و أدب المقاومة فی لبنان و فلسطين مستدعياً الشخصيّات الدّينية – التّاريخية للشيعة لحلّ ما حلّ بالمسلمين من التخاذل و التّشتت. إذاً فهو شاعر بين القديم و الحديث.و لا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هذا الشاعر الفذّ وصف فی

شعره الإمام الحسين(ع) بشكل مباشر و رمزى و ليس له «فى العلويات» قصيدة مستقلةإلاّ قصيدة واحدة(مشعل الثورتين) و فى غيرها أشار إلى الملحمة الحسينية فى ضمن العلويات.

۳.عرض الموضوع

۳-۱. المضامين الشعرية فى القصيدة

۳-۱-۱. فضائل أهل البيت (ع)

يعتبر الحديث عن أهل البيت(ع) و مكانتهم المرموقة فى الإسلام أمراً هاماً جدّاً.و لا نريد ذكر الآيات و الروايات الّتى وردت بشأن الائمة(ع) فى هذه المقالة.إنّ ما ورد فى القرآن الكريم من الآيات البيّنات و الروايات الشريفة حول كرامات أهل البيت(ع) بالتأكيد صار مصدر إلهام و وحى للشعراء الملتزمين بحبّ أهل البيت(ع).

فعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ جوزف الهاشم،يستهلّ قصيدته هذه مستمدّاً من القرآن الكريم مشيراً إلى آية التطهير التى تدلّ على أنّ أهل البيت هم عماد الدّين و المطهّرون من الرّجس دون غيرهم. فعلى المسلمين و المؤمنين طاعتهم و معرفة فضلهم.

اللهُ طَهَّرَهُم ... بُالْوَحْي كَلَّلَهُمْ   بالْبرّ جَلَّلَهُمْ ... بالْأعْرَق الشّيَمِ
«وَ أَذْهَبَ الرِّجْسَ» عَنْهُمْ، إنَّ عِصْمَتَهُمْ   مَعْقُودَةٌ لِكتَابِ الله وَ الْقِيَمِ
مَا أزْهَرَتْ سِدْرَةُ الرَّحْمَانِ، وَ اكتَمَلَتْ   شَرِيعَةُ الدِّينِ، لَوِلَمْ تَعْتَصِمْ بِهِمْ

(الهاشم: ۵۷)

و من فضائلهم التى يشير اليها، الهاشم، هى أنّ الله سبحانه و تعالى اختارهم رحمة وغفراناً للعالمين و انبعاث الحق و الحقيقة بين الشّعوب:

فَاخْتَارَ رَبُّک أَهْلَ الْبَيْتِ مَغْفِرَةً   وَ مَشْعَلاً لانْبِعَاثِ الْحَقِّ فِى الْأُمَمِ

(نفسه: ۶۰)

و ممّا تجدر الإشارة إليه هنا أنّ هذا اللّون كان وسيلة أو اسلوباً للاحتجاج

و الاستدلال أمام المخالفين و المناوئين منذ القدم. (أنظـر:ابن الرّومـی، ١٩٧۴، ج٢: ۴٩٢/و شعر الكميت بن زيد الأسدی؛ الصّالح، ١۴٠٨: ۴٢)

٣-١-٢. الإمام الحسين (ع) حسباً و نسباً

الامام الحسين (ع) هو خير البريّة فی زمانه حسباً و نسباً وخَلقاً و خُلقـاً و الفضل الّذی أنعم به الله، سبحانه و تعالی، عليه خالد لايزول. حسبه أنّـه سـبط الرّسول المصطفی (ص) و ابن الوصیّ المرتضی الّذی كان أقرب النّاس إلـی الله و رسوله شأناً و مكانةً و أمّه، فاطمــة الزّهـراء سـيّدة نسـاء العـالمين (علـيهم السّلام)؛ الّتی أنجبت ذرّية الرّسول(ص).

يَا ابنَ فاطمةَ الزَّهْرَاءِ يـا ابْـنَ عَلـیِّ وَ أیُّ مَجْـدٍ تَـرَاهُ بَعْـدُ، فِـی الْقِمَـمِ
يَا ابنَ خَيْـرِ نِسَـاءِ الْعَـالَمِينَ، سَـمَتْ كطُهْـرِ مَـرْيَم، فِـی قُدْسِـيَّةِ الـرَّحِمِ
بِنْتُ الرَّسُولِ، و «بَعْضٌ مِنْهُ»، إنَّ بِهَـا تُصَـانُ ذُرِّيَـةٌ لِلْبَيْـتِ وَ الْحَـرَمِ
يَا ابنْ الْعَلِیِّ، وَ مَنْ يَعْلُو الْعَلِیَّ سِـوی إثْنَيْن: رَبِّـک فَـوقَ الرُّسُـلِ كلِّهِـمِ
وَ أحْمَدٍ فِی دُنَی الْإسْلِامِ، قَدْ خَتَمَـتْ بِـهِ النُّبُـوَّةَ، كـفُّ الْحَـاكمِ الْحَكَـمِ
(نفسه: ۵٨)

بهذه الأبيات يتداعی لنا «الفرزدق: و قصيدته الرائعة و المشهورة فـی مـدح الإمام زين العابدين علی بن الحسين (ع) (ابن شهر آشوب، لا تا، ج۴: ١۶٩)

٣-١-٣. استشهاد الإمام الحسين (ع) و دوره فی إحياء الإسلام

الإسلام، كما قيل؛ محمدیّ الوجود و حسينیّ البقاء؛ فحادثة كربلاء رغم أنّها جرحت القلوب إلی الأبد و أجرت الدّموع من العيون إلی يـوم القيامـة، لكنّهـا بعثت رسالة دينيّة — إنسانيّة تثير المقاومة و الحماسه فی النّفـوس و العقـول. و لايفوتنا أنّ دين الله شابه شیء من الانحراف فـی زمـن الأمـويين، بمـا زوّروا المبادیء الإسلاميّة حسب أهوائهم و عقائدهم.

و علی هذا الأساس، كان لاستشهاد الإمام (ع) مكانة متميّزة فی شعر هـذا الأديب المسيحی و قد عبّر عن تلک المأساة المفجعة هكـذا: الإمـام الحسـين

(ع) هو الّذی نذر نفسه فی سبیل الإسلام و تعزیز الدین و قدّم روحه الطّاهرة أیضاً فدیة له فهو شهید الجود و الرّحمة کما کان شهید الحقّ و العدل:

مَنْذُورَةٌ نَفْسُک الشَّمَّاءُ مُذْ بُرِئَتْ لِلْجُودِ بِالرَّوحِ، مَا أَسْمَاهُ مِنْ کَرَمِ

(نفسه: ۵۸)

ثورته منذ بدایتها إلی استشهاده مسیرة مرتبطة بالله، سبحانه و تعالی ، کما کانت مرتبطة بالقیم الإنسانیّة النّبیلة. فالإمام هو الّذی حمل بیمینه سیف الحقّ و الجهاد و بیساره رایة الإسلام و الهدی:

نَهَوْک عَنْهَا، فَلَمْ تَحْفِلْ، فَخُضْتَ بِهَا وَ فِی یَدَیْک، مَصِیرُ الْعُرْبِ وَ الْعَجَمِ

یَدٌ حَوَتْ رَایَةَ الْإِسْلَامِ، حِینَ یَدٌ تَزُفُّ لِلْعَالَمِینَ النَّصْرَ بِالْعَلَمِ

(نفسه: ۶۵)

الإمام الحسین (ع) کان بمثابة قوة الحقّ التی لایقهر و لایهن أمام الجور و الشرّ؛إنّه وقف أمام الأعداء کالبنیان المرصوص دون خوف و وجل رغم الظّروف الصّعبة الّتی کان یواجهها فی ساحة الحرب و رغم القوّة العدوّ المدجّج بالسلاح:

عَضَضْتَ کاللَّیْثِ أَسْنَانَ الرِّمَاحِ وَ مَا مَسَّتْ عَزِیمَتَک الْهَیْجَاءُ فِی الدُّهُمِ ...

وَ مَا کَلَلْتَ، وَ جَیْشُ الشَّرِّ مُنْهَزِمٌ فَقُلْتَ یَا شِرْک، هَذَا الرُّوحُ فَانْهَزِمِ

(نفسه: ۶۱)

رأس الإمام الحسین (ع)، علی الرّماح هو رمز الکرامة و العزّة الّتی رسّخت أرکان الإسلام و قیمها الشامخة التی دکّت عروش الظّالمین. فإنّ استشهاده فی ساحة الشّرف و النّضال قد خلّد الإسلام و القرآن، لأنّه تصدی للکفر و الفساد من أجل إرساء العزّة و الکرامة فی سبیل الله:

بِرَأْسِهِ ارْتَفَعَتْ أَرْکَانُ أُمَّتِهِ وَ زُجَّ رَأْسُ بَنِی سُفْیَانَ بِالْوَخَمِ

فلا ینظر الشّاعر إلی استشهاده من منظر الرّبح و الخسارة المادّیة بل صارت شهادته أسوة لمن یؤمن بالحرّیة و العدالة و الإنسانیّة کما أسدلت السّتار علی وجوه الظّلم و الخسران و النّقص حیث بشّرهم بالویل و الثبور. إنّ الإمام (ع) واجه الضّلال و الطّغیان بکلّ قوّة و کان بنیاناً مرصوصاً فی النّفس و العقیدة

فهكذا فى الصراع بين الحقّ و الباطل، كشف النقاب عن وجه الكفر و النّفاق حيث قذف بهم فى مزبلة التّاريخ:

تَبَدَّدَتْ ريحُهُمْ فِـي الْبِيْـدِ، فَانْـدَثِرُوا كالطَّيْرِ، تَلْفِظُهَا الْأَفْيَـاءُ فِـي الأَجَـمِ
بَـادَتْ سُـلاَلَتُهُمْ، غَـارَتْ قبـورُهُمُ وَمِـثْلَهُمْ رِيشَـةُ التَّـارِيخِ لَـمْ تَصِـمِ

(نفسه: ۶۲)

فهذه الثورة الحسينيّة، بل الرّسالة الإنسانية، الّتى ألهبت ضمائر الأحرار فى العالم هى رسالة وحدّت الرسالات النّبويّة و المجاهدات العلويّة وحدة وثيقة؛ الثورة الحسينيّة فى كربلاء هى الامتداد الطبيعى للرسالات السّماوية التى قامت على أركان التّوحيد و القسط و مكافحة الظّلم و الاستغلال و الاستبداد:

عِمْ يَا حُسَيْنُ، فَأَنْتَ اخْتَرْتَ جُلْجُلَـةً إلاَّ النَّبِيُّونَ، مَـا فَـازُوا بِـذَا الْحُلُـمِ
وَ فُزْتَ أَنْتَ، وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ انْتَصَـرَتْ أَشْـيَاعُ مُنْتَصِـرٍ بِـاللهِ، مُعْتَصِـمِ
وَلَألَأتْ أُمَّـةٌ، وَ اسْـتَرْجَعَتْ عِظَمـاً مِنْ سَالِفِ الْعَهْدِ، أَو مِنْ سُؤْدُدِ العِظَمِ
وَ قَـامَ دِيـنُ نَبِـيٍّ اللهِ بَعْـدَ وَنـىً بَغَيْرِ أَنْفُسِ أَهْـلِ الْبَيْـتِ لَـمْ يَقُـمِ

(نفسه، ۶۳)

فما ثورة الحسين إلاّ امتداد للرسالات الّتى نزلت على البشرية منذ آدم (ع) إلى خاتم الأنبياء (ص)؛ إن الأهداف و الغايات التى نادى بها الإمام الحسين(ع) نفس الأهداف الّتى أرادها الأنبياء و المرسلون و جاهدوا من أجل ترسيخها و تحقيقها. فحركة الحسين (ع) و نهجه كان وفق نهج الأنبياء المرسوم بالدّماء و الآلام. فقد فاز فوزاً عظيماً كما فاز أبوه المرتضى (ع) و هو القائل: «فزتُ و ربّ الكعبة».

استشهاد الإمام الحسين (ع) رغم أنّه يحرق القلوب و يبكى العيون معاً لكنّه كان مفتاحاً لاستمرار حركة التّوحيد و الإسلام فليست فلسفتها فلسفة الحزن و البكاء و القنوط، بل هى نهج للبصيرة و الرّشاد و لولا شهادته لما قام عمود الإسلام و العزّة؛

لَـوْ لاكَـمْ، لمـا ارْتَقَـتْ لِلّـهِ أَلْوِيَـةٌ وَخَابَ سِـرُّ ابْتِـداعِ الْكَـونِ بِالنَّـدمِ

إِنْ يَغْدُرِ السَّيْفُ، وَ الْإِسْلاَمُ مُنْتَصِرٌ فَـالثَّغْرُ يَفْتَـرَّ عِنْـدَ الْحُـزْنِ وَ الْـأَلَمِ
تَبْكيک ثَورَةُ عَاشُـوراءَ فِـی طَـرَبٍ وَ الدَّمْعُ يَنْسَابُ رقرَاقـاً مَـعَ الـنَّغَمِ
(السابق: ۶۵)

الحسين (ع) هو الّذى سما بالإيمان و الإنسان بشهادته و كرّم وجوه الخلافة الإلهيّة الإنسانية و أوصل مقام البشرية إلـى السّـماء و المعـراج.إذاً فهـو وارث آدم(ع) الحقيقى:

رَفَعْتَ فِی الْأَرْضِ عَرْشَ الْمُؤْمِنِينَ عُلیً وَ فِـی الْخُلْـدِ عَرْشـاً بَـاذِخَ الهَـرمِ
التَّاجُ تَاجُک فِی كَنْـفِ السَّـمَاءِ زَهَـا وَ الْعَرْشُ، دُونَ جِـوارِ اللهِ لَـمْ يَـدُمِ
(نفسه)

هو ليس إماماً للشيعة فقط بل إنّه إمام و رحمة للبريّـة جميعـاً بمـا تـزيّن بالفضائل الدّينية و الأخلاقية و الإنسانية الغرّاء و صارع الكفـر و الاسـتغلال و الفساد.

لا ... لَسْتَ أَنْتَ إِمَامـاً سَـادَ شِـيعَتَهُ أَنْتَ الْإِمَـامُ لِكـلِّ الْخَلْـقِ وَ النَّسَـمِ
(نفسه)

۳-۱-۴. الحسين (ع) مع الله سبحانه و تعالى و الله مع الحسين (ع)

الثورة الحسينيّة كانت كلّها لِلّه سبحانه و تعالى؛ الهدف و القتال و الصّـلاة و البكاء كانت كلّها فى سبيل الله و الدين. فشاعرنا، جـوزف الهاشـم، رسـم فـى قصيدته، مشعل الثورتين، تصويراً خياليّا خلاّباً يعـرض فيـه أنّ الله جـلّ شـأنه حين رأى الأرض مُلئت ظلماً و ضلالة، و الخلق لايهتدون بآيات الله و يتّبعـون خطوات الشيطان فى قتل الرّسُل و الأولياء ألهم الحسين (ع) سيد شـباب أهـل الجنّة و لإنقاذ الأمّة التى تهيم فى الضّلالة و التيه؛نلاحظ فى الأبيـات التّاليـة أنّ الدافع الرئيسى للأمام(ع) فى التّضحية بنفسه هو إنقاذ دين الله من الانحـراف و التّحريف و إخراج المسلمين من الضـلال و التيـه إلـى الهدايـة و الحـقّ. فـإنّ الظروف الّتى واجهها الإمام (ع) كانت أسوأ ظروف و أقساها ما تطلب القيـام و

النهضة. حيث لم يألُ جهداً فی الحفاظ علی دين الله القويم مهما كلفه الثمن.

فإنّ النهضة الّتی قام بها الإمام(ع) كانت جهادا فی التصدی للظلم و الانحراف و إعادة الأمور إلی مجاريها الصحيحة و إحياء سنّة رسول الله(ص)؛

كأَنَّمَا اللهُ، ثَارَتْ نَفْسُهُ غَضَباً ... وَ الْأَرْضُ غَارِقَةٌ فِی الظُّلْمِ وَ الظُّلَمِ
لَمْ يَهْتَدِ الْخَلْقُ بِالْآيَاتِ، فَانْتَحَرَتْ ... رُوحُ الرِّسَالَاتِ، فِی بَحْرٍ مِنَ الحُمَمِ
وَ اسْتَشْرَسَتْ نَزْغَةُ الشَّيْطَانِ بَيْنَهُمُ ... كمَا الْكوَاسِرُ، عِنْدَ الْبَطْشِ بِالْغَنَمِ
فَأَطْرَقَ اللهُ مَذْعُوراً، كَأَنْ بُعِثَتْ ... تِلْكَ الْعِبَادَةُ لِلْأَوْثَانِ و الصَّنَمِ
الْكفْرُ لاَ يَرْعَوِی إِلاَّ بِتَضْحِيَةٍ ... تُلَمْلِمُ الْكوْنَ مِنْ دَوَّامَةِ الْعَدَمِ

(السابق: ٥٩-٦٠)

و هنا تتداعی قصيدة خالد بن معدان الطائی من فضلاء التّابعين – و قيل لديک الجن الحمصی أيضاً – فی رثاء الإمام الحسين (ع):(جَاءُوا برَأْسِک يَا ابنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ....) (أنظر:شبر، ١٤٠٩، ج١: ٢٨٨/ سياحی ١٣٨٢: ٤٦-٤٧)و كذلک يشبه شعره بأبيات لمنصور النّمری (شَاءٌ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلْ.....)(أنظر: (ابن قتيبة، ١٤١٨: ٦١٩-٦٢٠/ سياحی ١٣٨٢: ٧٧-٧٨).

٣-١-٥. دور زينب (س) فی الملحمة الحسينية

زينب (س) فی واقعة كربلاء قد تميزت بالشّجاعة و الصّراحة و البصيرة و المقاومة و التّضحية؛ إنّها كرّست جهودها للدفاع عن الحقّ و المظلومين. فاشتهرت بخطبها البليغة فی الدفاع عن آل الله (ع) و تقريعها بنی أميّة بما اقترفوه من جرائح سفک دم آل الرسول (ع) مذكّرة بفضائل البيت النّبوی الشريف فی أسلوب يجمع بين الصّراحة و الشّجاعة و اللّوم و التّقريع علی قتلة الحسين.

فيخاطبها جوزف الهاشم هنا بابنة الإسلام و يحدّثها عن سبب اختياره لمنهج أهل البيت (ع) موضحاً طيب دوحته و انتمائها إلی الهاشميين و الدّم الّذی يجری فی عروقه:

لاَ تَسْأَلِی يا ابنَةَ الإسْلاَمِ عَنْ قَلَمِی ... إِنْ رَاحَ يَشْدُو بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِثْلس فَمِی
الْهَاشِمِیُّ أَنَا، مِن طِيْبِ دَوْحَتِهِمْ ... دَمُ السُّلاَلَةِ يَجْرِی فِی عُروقِ دَمِی

(نفسه: ٥٧)

و يبلغ الشاعر الذروة فی استثارة العواطف حين يصوّر صرخات زينب (ع) بعد استشهاد الإمام الحسين (ع):

وَ حِيْنَ أُثخِنْتَ مِنْ سَيْلِ الْجِرَاحِ دَوَتْ صَيْحَاتُ زيْنَبَ، كالْإِيقَاعِ فِی الصَّمَمِ

(السابق: ۶۱)

فتلک العاطفة الجياشة و النّحيب و اللوعة ، كانت بمثابة ثورة على الأعداء؛ و الدفاع عن الرسالة الحسينيّة و صرخة بوجه بنی اميّة مشيرة إلى ما ارتكبوه من الجرائم و الآثام فی سفک دم الامام (ع) فتهدّدهم بالمزيد من الويل و الثبور و الهلاک مشدّدة اللّوم و التقريع على هؤلاء القاتلين فتعلن أهداف فلسفة الثورة الحسينية غير آبهة من الحكام و الأعداء حيث راحت تعدّد فضائل أهل البيت (ع) و مكانتهم فی القرآن و السّنة و تكشف أبعاد انحرافات الحكام الأمويين.

و الأهمّ من هذا و ذاک أنّ زينب (ع) هذه قد جمعت فی نفسها الروح المحمدية و البصيرة المرتضوية حيث تبيّن الأهداف الأساسيّة للرسالة الحسينيّة من إقامة النموذج الأمثل للحكم الإسلامی و إصلاح الأمّة الإسلامية بعد أن تفاقم الظلم و الانحراف فيها.

وَ جُذْوَةُ الدِّينِ لَجَّتْ فِی النُّفُوسِ بِمَا أَذْكَتهُ زَيْنَبُ فِی الْهَامَاتِ وَ الهِمَمِ
أُخْتُ الرِّجَالِ، امتَطَتْ مِعْرَاجَ وَ الِدِهَا وَ الْعَزْمُ يَنْطِقُ بِالْأَحْكَامِ وَ الْحِكَمِ
فَأَيْقَظَتْ شُعْلَةَ الْإِيمَانِ، إِنْ طُمِسَتْ زَاغَتْ، وَ إِنْ أُلْهِبَتْ بِالْحَقِّ تَضْطَرِمِ
فَحَرَّک الْإِثْمُ فِی طَيِّ النُّفُوسِ لظًى خَبَا عَلَى الزَّيْفِ، و اسْتَحْذَىعَلَى بَكَمِ
وَهَبَّ مَنْ هَبَّ، كالْإِعْصَارِ مُنْدَفِعاً كالنَّارِ، إِنْ تَصْطَدِمْ بِالرِّيحِ تَلْتَهِمِ ...

(نفسه: ۶۲ –۶۳)

المتأمّل فی هذه القصيدة يجد أنّ هذا المسيحیّ– أو الهاشميّ الشيعیّ – يصف الثّورة الحسينيّة وصفاً حيادياً معتدلاً دون غلوّ و العصبيّة. فضلاً عن ذلک، أنّه يذكر كربلاء و يتفجّع لما أصاب آل الرسول(ص) ثم يوضح دوافع النوح و البكاء

و هی أنّ الأمام الحسین(ع) رمز للمقاومة و العزّة لکلّ من یرید نیل الحریة.

٣-٢.أسالیب الأدب الحسینی فی القصیدة

٣-٢-١.المزج بین أدب الطّف و أدب المقاومة

جوزف الهاشم کثیراً ما یتغنّی بلبنان و حیث عروقه ملیئة بدم الحماسة و البطولة و یعرب عن استیائه لما حلّ ببلده من التمزق بسبب التهاون العربی و المؤامرات الّتی حاکتها السّلطات العربیة باتّخاذ المواقف المتخاذلة حیال فلسطین و لبنان وحرکات المقاومة التحرّریة . فلهذا أخذ یؤکد علی دور أهل البیت (ع) فی ارشاد الأمّة الإسلامیة و الحاجة الماسّة إلی الاقتداء بهم لیبلغوا الدقّة و البصیرة فی تحدید مصیرهم و حیاتهم، بل لمقاومتهم أمام الاحتلال.

وها هو العلاّمة محمّد حسین فضل الله (رحمه الله تعالی) یشیر إلی هذه الخصیصة الشعریة لشاعرنا المسیحیّ قائلاً:

أن یکتب شاعر مسیحیّ شعراً فی أهل البیت النّبویّ الشّریف. ... و أن تنفتح عاطفته علی المأساة فی کربلاء لتمتدّ إلی المأساة فی کربلاء الجدیدة «قانا»، فی شعر یبکی فی أنشودة الفرح حیث تمتزج الذّکری بالبطولة روحاً و جهاداً، فتحسّ و کأنّ الشّاعر یتحرّک فی الحاضر کما لو کان فی عمق مسیرة التّاریخ (الهاشم، ١۴٢٠: مقدّمة العلاّمه: ۵)

و إنّه لجلیّ واضح أنّ میوله نحو التشیّع و المقاومة مبنی علی أساس الحبّ الصّادق المنبثق عن المعرفة الأصیلة و العمیقة المتجذّرة، ویتابع العلاّمة فضل الله قائلاً:

جوزف الهاشم، فی امتداده النّسبی هاشمیّ ..... وهو فی قصائده الرّائعة الّتی تهزّک فی علیّ و الحسین و زینب و کربلاء و قانا، فتعیش معها آفاق السّموّ الرّوحی و العبقریة المبدعة، و الشهادة و العنفوان ... و الماضی الذی یمنح حرکیة الإنسان فی امتداد الزّمن، فی حیویة الرّوح و البطولة و العنفوان، بعیداً عن التّعقیدات الطّائفیّة القبلیّة (نفسه: ٨).

وهنا تتفجر عاطفته على مأساة فی کربلاء لتمتدّ إلی مأساة جديدة فی «قانا» و من هذا المنطلق، يتّضح لنا مدی دور ملحمة کربلاء فی التّاريخ و ما تثير تلک الحماسة فی النّفوس من الصمود و الجهاد و الرّسالة فی عصرنا الرّاهن:

يَـا کرْبَلاَئِـيَّ الْجَنُـوب، سَـکبْتَهَا رُوحـاً، يَحُـثَّ جُمُوحَهَـا الْإِقْـدَامُ
دَعْهُـمْ، وَ مَـا شَـغَفُ الْحَيَـاةِ بِقَـائمٍ فِـيهِمْ، وَ لاَ لِلْمُقْعَـدِينَ قِيـامُ

(السابق: ٢٦)

و يشير فی مثل هذا المضمون إلی أنّ کربلاء تتمثّل فی کل أرض يقوم فيها الجهاد و المقاومه و فی کل زمن تقع فيه الشّهادة:

يَا کرْبَلاَئِـيَّ الْجَنُـوب، لَـک الْمَـدَی أَلْعُمْـرُ لاَ شَـيْبٌ وَ لاَ أَعْـوَامُ
تَمْضِـی ... وَ شَـلاَّلُ الشَّـهَادَةِ هَـادِرٌ حَتَّـی اقْتَفَـتْ آثَارَهَـا الْأَقْـدَامُ

(نفسه: ٢٧)

و يستنکر مواقف الحکومات العربية من أحداث جنوب لبنان مستعرضاً الحماسة الحسينية و الجهاد الإسلامیّ الّذی يدک عروش المعتدين فی الجنوب:

يَـا جَنُوبـاً فَـدَتْک أُمّـةُ عُـرْب کنْـتَ فِـی رَفْـعِ مَجْـدِها الْقُرْبَانَـا
مَلْحَمِـی الجِهَـادِ، تَسْـکبُ رُوحـاً کرْبَلائِيَّـةً تَهُـزُّ الزَّمَانَـا

(نفسه: ٧٦)

بشعره هذا يَتداعَی لنا «نزار قبانی» و قصيدته «سمّيتک الجنوب» حيث أنشد و هو يجمع فی شعره بين الملحمة الحسينيّة و ملاحم جنود المقاومة: (أنظر:نزار قبانی، ١٩٨٦: ٧٥)

و بعد أن يشير إلی آلام الجنوب معتزّاً بصموده و جهاده يخاطب النّاس و المقاومين قائلاً: إنّ إنقاذکم يتمثّل فی اتّباع أهل البيت (ع) الّذين عرفوا بسّفن النّجاة و الهداية و من جاهد فی سبيلهم واحتذی حذوهم سيهتدی إلی الصراط المستقيم و الرّشاد؛ لأنّهم هم أهل الصّواب و الحقيقة و الجهاد و الشهادة و الحقّ لايعرف إلاّ بهم؛فی الحقيقة أنّ کربلاء صارت فی مثل هذه الأبيات رمزاً للجهاد و الصّمود و المقاومة أمام الجور و الاحتلال؛

جُرحُ الجَنُـوبِ نجيـعٌ، وَ التُّـرابُ دَمٌ وَالْجُرْحُ إنْ يُرْوَ بالتَّحْرِير يَلْتَـئِمِ ...
يَا أَيُّهَـا النّـاسُ، مَسـرَاكم بِقِـدْوَتِكمْ مَن يَسْتَشِـفَّ بأَهْـلِ الْبَيْـتِ يَغْتَـنِمِ
تَوسَّلُوا خَطْوَهُمْ فِي الْعَـالَمَيْنِ هُـدىً لاَيَسْـتَقِيمُ لَكُـمْ حَـقٌّ بِغَيْـرِهِمِ
(الهاشم، ۱۴۲۰: ۶۶-۶۷)

۳-۲-۲. التلميح إلى الحوادث التّاريخية

الإشارة أو الاستناد إلى الوقائع و الحوادث التّاريخية تعدّ جزءً هامّاً من أساليب هذه القصيدة؛ الهاشم يشير هنا إلى تلك الرواية المأثورة عن النّبي (ص) عندما ولد الحسين (ع) فوضعه في حجره و بكى قائلاً: «أخبرني جبرئيل أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا»؛

أَلَيْسَ يَوْمَ وُلِدْتَ، ارْتَابَ جَدُّک فِـي بَغْيٍ، عَلَى لَوْحَـةِ التَّـارِيخِ مُرْتَسِـمِ
أَتَـاهُ جِبْرِيـلُ بِالـدَّهْيَاءِ يُنْبِئُـهُ بِكَرْبَلاَءٍ، بِسَـفْکِ الـدَّمِ فِـي الْحُـرُمِ
(نفسه: ۵۹)

أو يشير إلى الّذين نصحوا للإمام (ع) بعدم الخروج إلى العراق و الإمام (ع) يردّهم بهذا القول: «إنّي رأيت جدّي رسول الله (ص) فقال: يا حسين اخرج إلى العراق فإن الله شاء أن يراک قتيلاً».فهكذا أصبح الحسين (ع) أحبّ النّاس إلى قلوب المسلمين و غيرهم من الأمم و الملل كما أصبح رمزاً للفداء و المكافحة ضدّ الضّلال و الطغيان .إنّه ملأ التّاريخ بشخصيّته و ثورته بل غيّر مساره بعد أن كان تحت سيطرة الجور و الانحراف و هم يلعبون بالمصير و الحقيقة:

مَا كنْتَ تَجْهَلُ فِي دَرْبِ الْعِرَاقِ مَدىً وَطَيْفُ جَدِّک حَثَّ الْـوَطْءَ بِالْقَـدَمِ
نَهَوک عَنْهَا، فَلَمْ تَحْفِلْ، فَخُضْتَ بِهَـا وَ فِي يَدَيْک، مَصِيرُ الْعُرْبِ وَ الْعَجَمِ
(نفسه: ۶۰)

وقد علّق الشاعر، أيضاً، على هامش قصيدة (مشعل الثورتين) و تطرّق إلى ثورة التّوابين: بعد مقتل الحسين (ع) حيث أدرک الشيعة أنّهم خذلوه و لم ينصروه، فانبعث فيهم الشعور بالإثم و النّدم و الرّغبة في الانتقام و التّكفير عما

فعلوه، و رأوا أنّ الانتقام غسل لعارهم، فتوجهّوا إلـى قبـر الحسـين و أقسـموا على قتل من قتلوه و سمّوا بالتّوابين؛

يَا لَلْحُسَيْنِ، وَ خَفَّ الرَّكْبُ فِـى وَرَعٍ   يَسْتَغْفِرُ الْقَبْرَ بـالتَّكفِيرِ وَ القَسَـمِ ...
يَثُورُ مِن فَرْطِ نَكـثِ الْعَهْـدِ ثَـائِرُهُمْ   مَـا بَـيْنَ مُنْتَصِـرٍ لِلْشَـرْعِ، مُنْـتَقِمِ
سَـمَّاهُمُ الـذَّنْبُ تَـوَّابِينَ، فَانْتَفَضُـوا   سُبْحَانَ مَـنْ بَـدَّلَ اللَّائَـاتِ بـالنَّعَمِ

(نفسه: ٦٣)

وكذلک يشير فى الهامش أيضاً إلـى أنّ الإمـام الحسـين (ع) لقـى الشـاعر الفرزدق فى بعضِ الطّريق إلى العراق فسأله عن أهل الكوفة: فأجاب: « قلوبهم معک و سيوفهم عليک».شاعرنا يستدعى الفرزدق اسـتدعاء تاريخيّـاً، موبّخـاً جميع الّذين خذلوا الإمام (ع) و لم يلبّوا دعوته . فيبدو أنّه يستحضر التّـاريخ قاصداً دلالة جديدة و هى الوعى و البصيرة:

وَ يَـا فَـرَزْدَقُ، إنَّ الْخَـافِقَيْنِ مَعـاً   «الْقَلْبُ و السَّيْفُ»، صِنْوٌ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

(نفسه)

٣-٢-٣. صور الخيال

يذهب جوزف الهاشم فى اسـتخدام الصـور الخياليـة و الزخـارف البديعيـة مذهب الشعراء الكلاسيكيين:إنّه مغرم بالتصاوير و الأخيلة، خاصة الاسـتعارة و التشخّص و التشبيه و المجاز، فشعره يمتاز بـالرونق و الشـعور و الجمـال فـى استخدام أدوات التصوير.هنا نكتفى بمثال فى مجال الاستعارة؛

تَرَصَّعَت فَوقَ أَطرَافِ الرِّمَـاحِ سَـنىً   يَا عَارَهُ الرِّمحُ ،فى رَأسِ الحُسينِ رُمِى

(نفسه:٦٢)

الشاعر فى هذا البيت يشير إلى رأس الإمام الحسين(ع) و رؤوس أصـحابه الّتى حملت على أطراف الرّماح إلى الكوفة و منها إلى الشام؛لقد شـبّه الشـاعر رأس الإمام الشهيد(ع) على الرماح بالبرق بجامع النـور و الهدايـة ثـمّ اسـتعار اللفظ الدّال على المشبّه به و هو«سـنىً» للمشـبّه و هـو «الـرأس» ليـدّعى أنّ

المشبّه به هو عين المشبّه على سبيل الاستعارة التّصريحيّة.و فى المصراع الثانى شبّه «الرّماح» بإنسان على تخيّل أنّ الرمح قد تمثّل فى صورة إنسـان و رمـز للمشبه به المحذوف بشىء من لوازمه و هـو «العـار» علـى سـبيل الاسـتعارة المكنية.فهذه الصّورة بمجملها تجسّد للقارىء صورة النصر و الفـتح و العـزّة و السّيادة و مرّة أخرى تعبر عن النوح و البكاء و التفجّع و التّوجّع.

٣-٢-۴.لغة الهاشم الشعرية

إنّ لغة جوزف الهاشم الشعرية فى هذه القصيدة تمتاز بسمات عديدة؛

أوّلها؛أنّه شاعر القوّة و الصّلابة ؛فهذه القوّة الشعرية تجلّت لديه فى الموسـيقا الشعرية و صلابة الألفاظ و قوّة المعانى و متانـة الجمـل ثـمّ تـوخّى الحـروف الضّخمة الّتى توحى العظمة و البطولة .فلهذا نسمع فى شعره القدرة و الجزالـة و الثّورة.نقف هنا وقفة قصيرة عند هذه الميزة الّتى تجلّت فى هذه الأبيات التّالية ؛ الإمام الحسين(ع) فى هذا الصّورة، الّتـى تشـير إلـى الّـذين نصـحوا لـه بعـدم الخروج إلى العراق ، بطل ملحمـى يخـوض المعركـة دون خـوف و وجـل و كذلک ابنه،على أكبر بن الحسين(ع) الّذى استشهد فى كربلاء ؛

نَهَوْک عَنْهَا، فَلَمْ تَحْفِلْ، فَخُضْتَ بِهَا   وَ فِى يَدَيْک، مَصِيرُ الْعُرْبِ وَ الْعَجَم....

عَضَضتَ كاللَّيْثِ أَسْنَانَ الرِّمَاحِ وَ مَا   مَسَّتْ عَزِيمَتَک الْهَيْجَـاءُ فِـى الـدُّهُمِ

أبصَرتَ شِبلَ عَلىٍّ فى الحِمَامِ هَوَى   عَلَى اسمِ«حَيدَرَ» فِى حَربِ الجِهَادِ سُـمِى

(نفسه:٦٠-٦١)

إنّ الجوّ الّذى خلقه خيال الشاعر فى هذه الأبيات ذا نفس ملحمـى نسـمع فيـه قعقعة السلاح و صلصلة السّيوف و طعنات الرّماح و سـاعد علـى ذلـک الموسـيقا الشعرية التى تجلّت فى الفاظه الشديدة التأثير وعروضه الشعرى (البسيط).

و ثانيها؛أنّ أسلوب شعره خطابى؛ الشاعر فى هذه القصيدة يركّز علـى قـرع الآذان و انتباه العقول و العواطف بحيث كأنّ شعره معدّاً ليلقى علـى الجماعـة.و هذا هو يخاطب جماهير الشعب هكذا:

يَا أَيُّهَا النّـاسُ، مَسـرَاكم بِقِـدْوَتِكمْ مَـن يَسْتَشِـفَّ بِأَهْـلِ الْبَيْـتِ يَغْتَـنِمِ
(المصدر السابق: ۶۷)

و ثالثها؛ أنّ شعره يتصف بصدق اللهجة و العاطفة للرجل الّذى يطّلعنـا فـى شعره على مدى حبّه لآل الرسـول(ص)كما هـو يخبرنـا عـن أحـوال العـرب السياسية و الاجتماعية فى عصرنا الرّاهن.و لقد صدق شاعرنا فى بيان عواطفـه و مشاعره قائلاً؛

لاَ تَسْأَلِى يا ابنَةَ الإسْلاَمِ عَنْ قَلَمِـى إِنْ رَاحَ يَشْدُو بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِثْلَ فَمِى
(نفسه:۵۷)

إذاً نلاحظ أنّ اسلوب الهاشم الشـعرى فـى هـذه القصـيدة يمتـاز بـالقوّة و الصلابة و الخطابة .إنّه يحسن اختيـار الألفـاظ و التراكيـب محـاولاً أن يحفـل شعره بالعظمة و البطولة و العاطفة.

النتيجة

بناء على كلّ ما سبق من شعر جوزف الهاشم فى هذه القصيدة، نستطيع أن ندرک:

١. أنّ الإمام الحسين (ع) بالنسبة للأستاذ جوزف الهاشم، هو رمـز الشـجاعة و العزّة و الكرامة و الحرّية و الصمود فى الإسلام، بل فى العـالم، و هـو الّـذى أحيا الإسـلام بعـد أن تفـاقم الظلـم و الفسـاد و الانحـراف فـى المجتمـع الإسلامى. إنّه حطم قيود الخـوف و الإرهـاب المسـيطر علـى المسـلمين و جاهد فى اصلاح أمّة جدّه .

٢. أنّه لم يكن يتحدّث عن الإمام (ع) على ذاک النهج المعروف فى الرثاء، بـل كان يعبّر عن عاطفة صادقة صريحة تجاه فلسفة الثورة الحسينية و مكانتهـا فى الدفاع عن القيم الدينيّة و الإنسانية. فلهذا يتّخذ من شخصـية الإمـام (ع) رمزاً للمقاومة و الصمود و الحرّيـة بجنـوب لبنـان و فلسـطين و يسـتدعيه ليستنهض هذه الامّة الّتى تقهقرت و تمزّقت.

٣. أنّ جوزف الهاشم فى حسينياته، شاعر قديم و حديث فـى آن واحـد؛ هـو

شاعر الصياغة و الأسلوب الخطابی کما هو شاعر الفکر و العمق و الرسالة و العاطفة. إنّه تأثّر بفصاحة القدماء کما تأثّر بمضامینهم و أسالیبهم فی ذکـری أهل البیت (ع). نلمس فی شعره روح القدم و الإصالة کما نلمـس متطلّبـات عصرنا الرّاهن دون أن یفوتنا أنّه شاعر الحماسة و القوّة و المتانـة فـی هـذا النّوع من الشعر الملتزم.

۴.إنّ لغة الهاشم الشعریة فی هذه القصیدة تمتاز بالفخامة و الجزالة و للموسـیقا الشعریة أثر کبیر فیها. و أمّا العاطفة فقد امتزجت بالمصداقیة و العـزّة و فـی مجال استخدام الصور البلاغیة یمیل الشاعر إلی الاستعارة و التشبیه.

المراجع

۱. القرآن الکریم.

۲. ابن الرومی، علی بن العبّاس بن جریج (۱۹۷۴م)؛ دیوان ابـن الرّومـی، تحقیـق؛ حسـین نصار، مصر، دارالکتب.

۳. ابن شهر آشوب (بدون تاریخ الطّبع)؛ المناقب، قم، العلاّمة.

۴. ابن قتیبه، عبدالله بن مسلم (۱۴۱۸هـ – ۱۹۹۷م)؛ الشعر و الشعراء، تحقیق؛ عمر فـاروق الطّباع، بیروت، دارالأرقم.

۵. خزعلی، إنسیه (۱۳۸۳ هـش)؛ امام حسین در شعر معاصر عربـی، چـاپ اول، تهـران، امیر کبیر.

۶. سیاحی، صادق (۱۳۸۲ هـش)؛ الأدب الملتزم بحبّ آل البیت (ع)، چـاپ اول، تهـران، سمت.

۷. شبّر، جواد (۱۴۰۹ هـ – ۱۹۸۸م)؛ أدب الطّف، بیروت، دارالمرتضی.

۸. الصالح، صالح علی (۱۴۰۸ هـ)؛ الرّوضة المختارة، قم، منشورات الرضی.

۹. قبانی، نزار (۱۹۸۶ م)؛ الأعمال الشعریة الکاملة، الطبعة الرّابعة، بیروت، منشـورات نـزار قبانی.

۱۰. الهاشم، جوزف (۱۴۲۰ هـ – ۱۹۹۹م)؛ علویـات: قصـائد مـن وحـی الإمـام، الطبعـة الأولی، بیروت.

۱۱. هيفاء، راجی أنور (۱۴۲۶ هـ – ۲۰۰۵ م)؛ الإمام علی فی الفكر المسيحی المعاصر، بيروت، دارالعلوم.
۱۲. مغنيه، محمّد جواد (۱۴۰۴ هـ – ۱۹۸۴م)؛ أهل البيت (ع) مبادئهم و منزلتهم عند المسلمين، بيروت داروكتبة الهلال و دارالجواد.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی